

الأمير عبد القادر الجزائري
- حكمة وحنكة سياسي في مواجهة فتنة دينية -

د. إدريس بن مصطفى¹

مقدمة :

لا شك أن جميع الرسائل السماوية دعت إلى التوحيد لأن أصلها ومصدرها واحد وهو الله خالق الكون والإنسان، ومهما وجد من اختلاف بين الديانات فإن العقائد المشتركة بين المسيحيين والمسلمين خاصة هي الإيمان بوجود مخلوقات أخرى من ملائكة وشياطين وغيرها من الأمور الغيبية أو اللامرئية، كما أن الرسوم والطقوس من صلاة و صيام وصدقة، وإن اختلفت عند المسيحيين عنه لدى المسلمين، إلا أن القصد منها واحد، فهي في مجملها اجتهادات شخصية لعبادة الله انطلاقاً من نصوص مقدسة أشارت إليها أو حددتها مشيرة إلى كيفية والحكمة منها، فالصلاة والدعاء والتأمل والتضرع والاعتكاف، كلها ممارسات قديمة أصلية يشترك فيها المسيحيون والمسلمون على السواء، فكما تقول تيريز آن درووار ((رغم إيمان المسلمين والمسيحيين في العمق باله واحد، يقيمون له الشعائر ويحاولون التعرف إليه بالروح وبالحقيقة غير أن فهمهم لهذا يختلف كثيراً إلى حد يصعب معه القول بأنهم يتكلمون عن الاله نفسه))، ومن هنا يبدأ الاختلاف الذي جلب معه الخلاف لتعصب كل طرف لدينه وإحساسه بأنه الأحق بالسيادة والإتباع، كيف لا والاختلاف يقع بين أبناء الدين الواحد وحتى المذهب الواحد، هذا الاختلاف الذي أدى عبر التاريخ إلى كثير من الصدامات وخاصة في المناطق التي يختلط فيها المسلمون والنصارى، ولعل أكثرها وخاصة في الوطن العربي هي لبنان وبلاد الشام التي شهدت أشهر فتنة سنة 1860م والتي كانت لها

¹ جامعة الدكتور مولاي الطاهر -سعيدة- الجزائر driss.benmostefa@yahoo.com

تداعيات كثيرة رغم المحاولات الكثيرة التي ظهرت حينها لرأب الصدع والحؤول دون وقوع صدامات وسقوط قتلى من أبناء الوطن والأصل -العربي - الواحد ولعل من أبرز الشخصيات التي لعبت دور الوساطة والتهديئة هي شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان متواجدا هناك بحكم المنفى الذي فرضته عليه فرنسا⁽²⁾ .

التعريف بالأمير عبد القادر ومقامه الديني والسياسي:

هو عبد القادر ناصر الدين، الابن الرابع لعبد القادر محيي الدين⁽³⁾ من مواليد 23 رجب 1222هـ/الموافق ل26-09-1807م في القيطنة على ضفة وادي الحمام في منطقة غريس، ساهمت في تكوين شخصيته مؤثرات بيئية عن طريق محيطه الأسري الذي استقى منه العلوم الاسلامية وحفظ القرآن واستظهاره صغيرا ودراسة سيرة

². كان الامير عبد القادر بعد ان استسلم قد عرضت عليه اسخى العروض ومكانة مرموقة في فرنسا من قصر ملكي وحرس شرفي وكل الابهة والحاشية الجديرة بأمير، ورغم ذلك عاش أسيرا في فرنسا وتصادف انذاك ان سقطت الملكية اثر ثورات 1848 م التي عمت فرنسا وأوروبا ككل فاقسم أمام الوكيل العام للحكومة الفرنسية Olivier انه لن يعود الى الجزائر ولن يتدخل في شؤونها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ورغم ذلك طال أسره وطال تنفيذ فرنسا لوعدها إلى أن جاء لويس نابليون ليطلق سراحه في أكتوبر 1852م، وظل في فرنسا الى غاية ديسمبر 1852 ليغادر هو وعائلته وأتباعه فرنسا نحو الشرق بعد ان أقيمت له حفلة عشاء واستعراض عسكري على شرفه، وبعد اقامته في بروسة التي ضربت بزلزال 1855م طلب تغيير وجهته نحو دمشق اين استقبل قي لبنان أولا استقبال الأبطال ، ونفس الاستقبال كان له في دمشق وكأنه فاتح وسط الزحام مسبقا بفرقة عسكرية تركية وجوقة للموسيقى العسكرية فلم يدخل دمشق عربي على هذا النحو منذ صلاح الدين الايوبي.

³. شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر- تونس 1974، ص39.

الرسول صلعم وعظماء الإسلام ومؤثرات إسلامية عربية ترسّخت في نفسه بعد زيارته للديار المقدسة وعدد من الأقطار العربية، فكانت ملكاته العقلية وهو طفل تدلّ على نبوغ فكري واستعداد غير عادي.

توجه مع والده لأداء فريضة الحج وفي عمره 19 عاما، بعدها توجهها إلى بلاد الشام وتحديدًا إلى العاصمة دمشق أين أقاما لشهور، إضافة إلى ذلك فهناك مؤثرات إنسانية تولدت نتيجة اهتمامه بدراسة الفلسفة اليونانية والعلوم الانسانية.

أما عن عائلته فقد اشتهرت بالعلم والتقوى والجهاد، فكانوا بذلك موضع تقدير واحترام من طرف الجميع، يرجع إليهم في كل كبيرة وصغيرة، ناهيك عن النسب الشريف الذي ينتهي إلى الأدارسة الذين كانوا ملوكا بالمغربين الأوسط والأقصى والأندلس⁽⁴⁾، كما كان أبوه محي الدين يلقب بالشريف لانتسابه إلى سلالة الرسول صلعم، ويمثل شيخا من شيوخ الطريقة القادرية بالجزائر، بهذه الأمور مجتمعة استطاعت أسرة الأمير أن تبسط نفوذها على القبائل النازلة في نواحي الغرب الجزائري المتاخمة للمغرب وخاصة على عهد والده محي الدين إذ شدت الرحال إليه لتلقي العلوم والأذكار، وقد جبل الله النفوس على محبته والقلوب على مودته⁽⁵⁾.

إضافة إلى المكانة الأدبية والدينية للأمير فقد كان رجل سياسة محنك، إذ بوع أميراً أو سلطاناً على المنطقة وهذا بإشارة من أبيه محي الدين الذي رفض تولي الامارة واعتذر بلباقة، وأمام إصرار سكان المنطقة اقترح عليهم مبايعة ابنه عبد القادر الذي لم يرفض طلب أبيه، الذي تقدم آخذاً عبد القادر من يده لتقديمه إلى الشعب وقال: ((انظروا، هذا هو السلطان الذي أعلنته النبوءة، هذا هو ابن الزهراء، أطيعوه كما لو كنتم تطيعوني، الله يحفظ السلطان)) فرد الناس: ((حياتنا

⁴. عبد الرزاق بن السبع، الامير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، باتنة سنة 2000، ص11.

⁵. نفسه، ص11.

وأملنا وكل ما عندنا له، لن نطيع قانونا غير قانون سلطاننا عبد القادر⁽⁶⁾، لقد أقبلت الوفود تترى من القاصية إلى الحضرة العلية رغبة في الطاعة وامثالاً للأوامر السامية المطاعة، فاجتمع الطم والرّم من جميع الآفاق لعقد البيعة الثانية⁽⁷⁾، وأبى عبد القادر تسميته سلطانا واكتفى باسم الأمير احتراماً وتواضعاً أمام سلطان المغرب- مولاي عبد الرحمن- الذي كان يكنّ له كل الاحترام⁽⁸⁾.

استغل الأمير حنكته ودهائه السياسي في بناء إمارته الفتية مستفيداً من أخطاء العهد التركي الذي أحدث فجوة بين السلطة والرعية من خلال التفرقة بين السكان الأصليين والأتراك وقد تبدى ذلك في الابهام في تغريمهم ومنع وصولهم إلى المراتب العليا في هرم السلطة والجيش⁽⁹⁾، فعمد هو إلى بناء إمارة أساسها إخلاص الحكم وثقة المحكومين⁽¹⁰⁾ وتوحيد القبائل وصهرها في بوتقة اجتماعية باعتبار ذلك عاملاً أساسياً من عوامل قوة إمارته.

كان المناضل الجزائري المنفي إلى دمشق لنضاله المشرف ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر رجلاً يحمل مثلاً عالياً، فكان أقوى مدافع عن قيم الإسلام المثلّي ولم يرضه ما كان يحرّض عليه بعض الشيوخ المسلمين المتعصبين ضد أبناء وطنهم

⁶. شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص58.

⁷. محمد بن عبد القادر الجزائري، كتاب تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الاسكندرية 1903، ج1 ص101.

⁸. تمت البيعة الثانية في 13 رمضان 1248هـ/الموافق 4 فبراير 1833م. والتي كانت بمثابة استفتاء شعبي اختار فيه الشعب قائده الذي سيؤسس ما يعرف بالدولة الجزائرية الحديثة.

⁹. كان الجزائري اذا وصل الرتبة السابعة في الجيش أو رتبة مرموقة اغتيل او احيل على التقاعد وذلك خشية انقلاب قد يقوم به ضد السلطة المركزية.

¹⁰. عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص24.

من المسيحيين، كما كان من المعارضين الأشداء للفكر الوهابي التكفيري ومن مناصري الحداثة والانفتاح، ويكفي ما وصفه به تشرشل في قوله أن هذه الرحلة القصيرة كانت تكفي لجعله معروفا ومكانا للاحترام، فلفظ وبشاشة أخلاقه، وشهرة ورعه، واسمه المعروف كعالم، ولقبه المبجل كحاج ومرابط وسمعته الطائفة كمحارب شجاع وبيانه الساحر نخطيب كلها قد جعلت دعوته لا تقاوم (.....) (11)

وحدة المرجعية الالهية ووجوب التعايش بين الملل:

إذا كان الجدل في تداوله القديم يعني إحكام قتل الآخر أي يعني اللدود في الخصومة والقدرة عليها، إذن فالتخاصم هو التجادل، والتجادل هو التغالب والتصارع والتناحر، كما أن التخاصم هو ذلك التجاذب السلبي لقيامه على علاقة تضادية بوجود طرفين يسعى كل منهما إلى الظهور بمظهر الأقوى بوجود الأقوى سيدا عليه وأمرًا بامتلاكه والتصرف فيه (12)، إذن فالتخاصم هو نوع من التفاعل التخريبي داخلا وخارجا يقدم فيه كل طرف نفسه على أنه المالك الوحيد للحقيقة وأنه على الطرف الآخر أن يسلم بذلك ويتنازل عن دينه ومعتقدده لصالح الآخر .

إن عقلية التخاصم مثلا تقدم تاريخ الاسلام بوصفه التاريخ الذي لا يمكن أن يطاله نقد ما دام هو مثاليا، كما تقدمه بطريقة لا تاريخية هي عقلية تواجه خصوما تنصوهم حوالها أعلى مبعدة منها لإثبات وجودها هكذا (13).

ألم يحدث هذا في تاريخ الديانتين حينما اضطهد المسلمون في مكة فأشار الرسول صلعم بالتوجه الى الحبشة التي كان ملكها النجاشي على دين المسيحية فبكي حين شرح له المهاجرون تعاليم الاسلام وقال : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من

¹¹. هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 151-152.

¹². ابراهيم محمود، الفتنة المقدسة-عقلية التخاصم في الدولة العربية الاسلامية -ط 1- بيروت- لبنان، جانفي 1999، ص 11.

¹³. نفسه، ص 23.

مشكاة واحدة، ورفض تسليم المهاجرين لوفد قريش المحمل بالهدايا الفاخرة وقال: انطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما . وظل المهاجرون المسلمون في الحبشة يعيشون في وسطهم حتى هاجر الرسول إلى المدينة فعاد معظمهم⁽¹⁴⁾.

ألم نتواجد في عهد الرسول أديان أخرى غير الاسلام وهي اليهودية والنصرانية والمجوسية ؟ ورغم ذلك فقد عاملتهم الدولة معاملة عادلة وتمتعوا بالحقوق الوطنية التي تمتع بها المسلمون فكان لهم فيها ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات .

وجعل الاسلام أهل هذه الأديان إخوة للمسلمين في الوطن العربي وقضى نظام الدولة بأن يعاملوا فيها مثلهم ليشعروا بأن لهم دولة واحدة تجمعهم ووطنا واحدا يؤلف بينهم وقانونا واحدا يخضع له الجميع⁽¹⁵⁾.

وفي هذا السياق يذكر توماس آرنولد ويعترف أن الرسول عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائهم الدينية وأتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمن وطمأنينة وهذا ما جعلهم يظهرون الولاء للحكومة الجديدة⁽¹⁶⁾.

ويرى ابراهيم محمود أن الاسلام والمسيحية دينان يشتركان في الأصل وإنما يقع الاختلاف في تنظيم الأولويات، وأن الفضاء اللاهوتي لهما لا يستوعب إلا ناسوتيا، فالإلهي موضوع رهان الانساني ويتصارع عليه مفهوما، وأن ما يوجد من توتر ونفور على صعيد المشاعر والرؤى ترسمه وضعيتهما الاجتماعية والسياسية

¹⁴. علي حسن الخربوطلي، الاسلام وأهل الذمة-مجموعة التعريف بالإسلام الصادرة عن المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ، كتاب 49، سنة 1969م، ص37.

¹⁵. نفسه، ص37.

¹⁶. نفسه، ص38.

والثقافية إضافة إلى الأرضية التاريخية لهما فتمن حراك ثقافي متعدد المرجعيات القيمة يلوم الوضعيات المذكورة (17).

اننا نجد كلا منهما-المعتنقين- يعمق حدوده المفترضة ويستأثر بما من شأنه الاعلاء من أهمية حقيقته لجعل هويته أكثر تماسكا وأصاله رغم أن العالم أصبح اليوم أو في العصر الحديث بشكل عام أكثر اعتمادا على بعضه البعض خلافا لعالم القرون والأحقاب السابقة وأن التحدي الجديد الذي يواجهه هو نشوء فلسفة نابعة من المقارنة بين الثقافات أو فلسفة ما بين الثقافات (18).

إن إسلام العظمة والسلطة العالمية، يتم نسيان أو تناسي أن هناك عربا ولكنهم ليسوا مسلمين وهذا ما يدخلنا في العلاقات التي تخص أهل الكتاب حيث يكون المسيحيون (أهل الذمة) وأنه في نفس الوقت الذي يتم فيه تعريب الاسلام برموزه الثقافية والسياسية ينسى الذين يقومون بمثل هذه المهمات الخطيرة بنتائجها حسب ابراهيم محمود أنهم يسيئون الى الاسلام والتاريخ لأن هناك شعوبا وعناصر أخرى لم تكن عربية وكان لها دورها الفاعل في الاسلام وكتابة تاريخه (19)، وهؤلاء مثلهم كمثل الذين يكتفون بتسمية الحضارة بالعربية فقط دون الإشارة إلى إسلاميتها متناسين في ذلك الدور الكبير والهام الذي قام به غير المسلمين من فرس وعجم في خلق وإيجاد مكونات هذه الحضارة .

كيف لا والدين الواحد بقدر ما يتقادم عليه الزمن يكتسب صفات وملاحم، ويغذى بتصورات جديدة تبعده قليلا أو كثيرا عن الأصل، فالأصل لا يبق محافظا على هويته ونقائه وجدته الأولى، إنما يخضع لسلسلة لا نهاية لها من التقييمات والتركيبات الفكرية والفنية وتتراكم عليه الصور والمفاهيم بحيث تزيد في

¹⁷. ابراهيم محمود"المرجع السابق، ص281.

¹⁸. ديترسنغاس، الصدام داخل الحضارات-التفاهم بشأن الصراعات الثقافية-ترجمة شوقي جلال، ط1، دار العين للنشر، الامارات العربية 2008، ص31.

¹⁹. ابراهيم محمود"المرجع السابق، ص24.

حجبه عن معناه، ويخضع الموقع لسلطة الموضع وتمارس فيه أشكال تحوير وتجوير لنصوصه الأولى على حد تعبير ابراهيم محمود.

وهنا نحن لا نبرئ المسيحيين أو نستبعدهم من دائرة الغلو وإضمار العداء للإسلام، فلا تزال الايديولوجيا الكنسية المتصلبة في الذاكرة الشعبية المسيحية وتستثمرها في العمق مستفيدة من الحقائق النفسية الموجهة على صعد مختلفة، ويحاول البعض ومنهم مومنتغومري واط أن يبينوا المركزية العالمية للمسيحية من خلال ارتباطها بسلطة الكنيسة⁽²⁰⁾، ألم تعمل أوروبا المسيحية وخاصة فرنسا على الحد من انتشار المد والتأثير الاسلامي بشتى الطرق لأنها كانت ترى في كل تقدم له تراجعاً لهيبتها ومزاحمة خطيرة لها على أرضها من قبل دين جديد وهي التي تمتلك الديانة الأعرق ؟ ألم تؤدي الحملات الصليبية أو تأثير داخل مفكري أوروبا نوازع الاندفاع نحو دراسة الاسلام كدين، لكن من جهة أخرى عملت الكنيسة ما في وسعها لتشويه صورته بالإساءة إليه وإلى النبي محمد صلعم، كما فعل كبار قريش حينما رأوا نفوذهم يتراجع فوصفوا النبي بالكذاب وبالساحر وبالشاعر، والدين الاسلامي بالمفرق بين الابن وأبيه؟

وهنا يورد لنا محمود إبراهيم الفكرة بأن الاوروبيين كانوا يرون في محمد صلعم الساحراً والشيطان فشوهوا اسمه وحولوه إلى -محد- mohound التي تعني بالاسكتلندية الشيطان⁽²¹⁾.

إن المسيحيين والمسلمين يحاولون كل وفق فهمه ومذهبه أن يكونوا خاضعين لمشئئة الله وأحكامه الخفية، فالمسيحيون يقولون كما يؤكّد المسلمون أنه لا خلاص للإنسان إلا بالإيمان، فالأصل في الوجود ليس السعي بغية تحقيق الضرورات الحياتية، بل العبادة، وتبقى تلك أدوات لضمان الاستمرار في الحياة قصد الهدف الأسمى المتمثل في العبادة، جاء في القرآن الكريم : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

²⁰. ابراهيم محمود، المرجع السابق، ص 294.

²¹. نفسه، ص 295.

لِيعْبُدُونَ" (22) ويقر المسيحيون والمسلمون بأن أعمال الإنسان كلها يجب أن تتم في إطار طاعة الله وأن المثل الأعلى للمؤمن الحقيقي أن يمتثل لشريعة الله أحسن امتثال.

وإذا نظرنا للإيمان في معناه العميق لوجدناه واحدا في الاسلام والمسيحية، ففي المسيحية وحسب ما ورد في الرسالة للعبرانيين هو ((روح ما يرجى من الأشياء وعربون ما لا يشاهد منها)) (23)، وهذا ما يتوافق إلى حد ما مع تعريف القديس أغسطين له بأنه: التصديق بما لا نراه وجزاؤه رؤية ما لا نصدق، ومن ثمة فإن فعل الايمان هو التصديق بما أوحاه الله، فبسبب الايمان هو سلطة الله الموحى ذاته، هذا في حين تتشعب قضية الايمان وتعريفاته في الاسلام، لكن هناك من يذهب إلى القول بأنه التصديق بنبي الاسلام محمد (صلعم) وعلى ما جاء به من تعاليم الدين والذي ينبغي أن يفهم على أنه إذعان وطاعة لرسالة النبي لأنه هو الشاهد على الوحي الذي جاء من الله (24).

إن محاولة إدخال الناس بالعنف إلى حظيرة الدين موجودة في كلا الجانبين وضمن فترات متقطعة، خصوصا عندما يتحول الدين إلى عصا غليظة وأداة تهديد معنوية من قبل من يعتبرون أنفسهم أوصياء على هذا الدين أو ذاك ضد الذين ينتمون لدين آخر، وعملية القتل والاضطهاد قد حصلت ولا تزال تحصل في كلا السياقين المسيحي والإسلامي باسم الدين كالمجازر التي حصلت للبروتستانت في فرنسا الكاثوليكية، ومحاكم التفتيش التي لاحقت المفكرين الاوروبيين في كل مكان كما حدث مع ديكارت نفسه (25)، أو تلك التي أنشأت ضد مسلمي الأندلس -

22. سورة الذاريات، آية 56.

23. انظر لويس غارديه-جورج قنواقي، فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام، ج3، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1967، ص 65.

24. نفسه، ج3، ص 70.

25. ابراهيم محمود، المرجع السابق، ص 287.

الموريسكيون- ولاحقت أي شخص ثبت لديه صفة أو رمز يمت بصلة إلى الاسلام⁽²⁶⁾ فتفرقوا نتيجة لذلك على مدن الساحل المغربي فرارا بأنفسهم ودينهم، ومن بقي منهم هناك أخفوا دينهم فشكّلوا فئة عرفت في التاريخ الأندلسي بالمدجنين - Medujares .

إن العالم الذي نعيش فيه تتقارب أجزاؤه وتشكل دائرة واحدة كل ما يرسم فيها يؤثر في الأجزاء الأخرى، أي أن العالم يشكل جسدا واحدا كل عضو فيه ينشط أو يقوم بفعل معين يؤثر مباشرة في الأعضاء الأخرى⁽²⁷⁾، ومن هذا المنطلق يرى الكثير بوجوب التعايش بين الملل فكما يقول سامي نائير أن هناك خطآن يجب تفاديهما: خطأ بعض المسلمين الموجودين دوما في حالة دفاعية، ولا يريدون الحكم على الاسلام إلا بمقياس عظمتهم في الماضي وبعبوره الذهبية، وخطأ أعداء المسلمين الذين ينطلقون من فرضية ثابتة تقول بأن الاسلام لا يمكنه أن يندمج في نظام العالم الحالي⁽²⁸⁾، ومن أولئك نجد هنتجتون الذي يتغاضى تقريبا عن الحضارة الاسلامية وهذا أدعى إلى الدهشة أكثر نظرا لأنه يعتبر الاسلاميين أو الأصولية الاسلامية المشكلة الرئيسية بل الاسلام ذاته، مفترضا أنه حضارة مختلفة تماما وبالكامل عن جميع الحضارات الأخرى، ويؤكد أن المجتمعات والدول الاسلامية تقع عند خطوط المنازعات الثقافية للعالم، ولهذا بدت عنيفة بشكل مفرط، إذ نجده يدفع بأن المسيحيين وغير المسلمين على السواء لا ينكرون الحماسة لحرب

²⁶. كانت في الغالب موجهة ضد المسلمين وأنشأت ضدهم ليمتد نشاطها بعد ذلك لبعض اليهود الذين شكّلوا أقلية ضئيلة جدا لا تمثل خطرا حقيقيا على إسبانيا وامتدت بعد ذلك إلى المسيحيين البروتستانت لأن الكنيسة الكاثوليكية = هي التي كانت ترعى هذه المحاكم وأنشئت في ظلها، انظر عبد العاطي محمد الورفلي، أوراق أندلسية، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي-ليبيا-1990، ص140.

²⁷. ابراهيم محمود، المرجع السابق، ص298.

²⁸. نفسه، ص36.

اسلامية والاستعداد لاستخدام العنف، وبهذا فهو يخلص إلى نتيجة واضحة هي أن الاسلام في حد ذاته يتصف بطابع العنف⁽²⁹⁾.

هناك عناصر مشتركة تجمع بين الديانتين فكلاهما سماوي أو ذات منبع ألوهي وهذا ما يقرب بين أتباعهما أكثر بعيدا عن التشنجات العصبوية والمخاتلات المنطقية، كما أن أبناء الديانتين من أهل الكتاب هم بذلك سواسية، وبالتالي فليس هناك من يستطيع إثبات أفضليته على الآخر بزعم عنصري، وهذا ما يزيل بشكل كبير الكثير من الأوهام التي من خلالها يمارس هذا الدين أو ذاك في سلوك عنصري بأكثر من طريقة فئوية أو مذهبية ضيقة.

أما العنصر الثالث والذي يعتبر هاما هو أن الديانتين شرقيتا الهوية، ألم تكن المسيحية ذات نسب شرقي ونمت وتجدّرت في أوروبا ثم نمت واكتسبت أبعادا إيديولوجية، وكذلك الاسلام فهو شرقي ويعيش في الوقت الحديث ضعفا لا مثيل له⁽³⁰⁾ والصراعات التي يعيشها في عالم تظهره وكأنه يعيش خارج حدوده.

الفتنة الدينية في بلاد الشام 1860 م وأصولها.

لم تكن الفتنة التي أسهم الأمير في انحادها هي الأولى من نوعها في بلاد الشام بل كانت تحدث من فترة لأخرى بين شتى الطوائف التي يحتويها المجتمع الشامي لكن هذه الفتنة كانت الأقوى نظرا لأنها كانت عامة وخطيرة لدرجة كادت معها أن توصف بالحرب⁽³¹⁾.

انطلقت شرارة الفتنة بدمشق يوم الاثنين 12 ذي الحجة 1276هـ/10 يوليو 1860م، والحقيقة أن الفتنة هاته كانت امتدادا لما وقع في جبل لبنان الشهر الذي

²⁹. د. بيتر سنغاس، المرجع السابق، ص 136.

³⁰. ليس المقصود هنا ضعف الدين أو العقيدة الاسلامية في حد ذاتها، وإنما حالة المسلمين نتيجة لحالة التشظي والضعف التي أحلت بهم نتيجة اختلاف الرؤى في تطبيقه ونظرته الى العالم المسيحي.

³¹. عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 57.

تسكنه طوائف من المسلمين والنصارى والدروز مع أكثرية نصرانية تسود بينهم المودة التي تحولت إلى عداوة على عهد ابراهيم باشا المصري حين تغلب على سوريا وطلب من الدروز جندا لاستعماله في أموره الخاصة⁽³²⁾، ولا يسعنا الحديث هنا عن ذلك، المهم أن الشرارة انتقلت إلى دمشق حين تحركت أحن المسلمين فيها على جيرانهم النصارى وتذكروا ما نالهم من -حنا بك البحري- وطائفته من الاعتداء أيام المصريين وما جرى بجبل لبنان، فكثرت اللغظ والقليل والقال فخشي النصارى على أنفسهم ورفعوا أمرهم إلى أحمد باشا الذي كان واليا ومشيرا للمعسكر الخامس وطلبوا منه الحماية فبعث لهم فرقة من العسكر إلى محلهم للمحافظة عليهم .

وحسب الروايات التاريخية فقد أخذ صبيان المسلمين يصورون الصليب في الطرقات ويرسمونه على الأوراق ويلقونها في الأماكن القذرة انتقاما وانتقاصا من المسيحية والمسيحيين وهنا لا يمكن أن نستبعد دور بعض المسلمين البالغين المتعصبين في دفعهم والإشارة عليهم بذلك، فتطورت الأمور حين أخذ شرطي صبيا مسلما يلعب بصورة الصليب إلى الحكومة التي أمرت بتعزيزه وإهانته في الأسواق فرآه أخوه وهو يهان بتلك الطريقة فغاب عن احساسه ورمى بنفسه من دكانه على أخيه، وقام جيرانه لقيامه وأخذوا الصبي من يد الشرطي، وماج الناس وكثر الصراخ واللغظ وبدأ البعض ينادون للجهاد ويتقاطرون إلى محلة النصارى بشكل أعمى غير مقدرين العواقب، فمدوا أيديهم إلى أهلها بالقتل وإلى أموالهم بالنهب وإلى ديارهم بإضرار النار فيها، فلما علم الأمير بذلك أدرك أن العاقبة ستكون وخيمة وأنه لو حدث في دمشق كما حدث في لبنان ستجعل منه فرنسا ذريعة لخراب سوريا⁽³³⁾.

كان الامير عبد القادر يدرك تمام الادراك خطورة التصادم بين طائفتين دينيتين مختلفتين وأن أثر التصادم سينتشر انتشار النار في الهشيم نتيجة لما يعرف

³². محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 91-92.

³³. محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 93

بالحمية أو العصبية الدينية التي يكون مفادها الانتصار لأهل الملة، وكأن في ذلك دعوة ونصرا لها، وقد سبق ابن خلدون بالقول في مقدمته أن الدعوة الدينية لا تتم من غير عصبية، وأن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح "ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه" ⁽³⁴⁾، وكان يدرك أيضا أن الوضع الذي سينتج عن التصادم سيجلب للمنطقة دمارا من طرف فرنسا التي كانت تتربص الدوائر بالمنطقة.

دور الأمير ومنطلقاته في انحاد الفتنة :

كان الأمير عبد القادر عند بداية الحرب الأهلية في لبنان داعيا لهم أن يكونوا رحماء معتدلين ⁽³⁵⁾، وأن لا يندفعوا وراء تعصبهم الديني، كما كان في بداية الأمر غير مصدق لما يقال حول الوضع المتأجج بين الطائفتين، إلا أن أهل بلده من الجزائريين كانوا يوفونه يوميا الأحاديث المخيفة التي تدور في مدينة دمشق ⁽³⁶⁾ لدرجة أن هناك من الجزائريين من تأثروا بتلك الدعوات فطلب منهم الانضمام للمؤامرة .

نعم لقد ذهب الأمير إلى العلماء وترجاهم أن يستخدموا نفوذهم لدى الأهالي قصد إطفاء مشاعر الغضب والهيجان لدى المسلمين وتفادي النكبة المهولة، وكتب رسائل مستعجلة في نفس المعنى لدى علماء حمص وحماة ⁽³⁷⁾.

لقد كان المسلمون والمسيحيون في الشام يعيشون جنبا لجنب في لبنان وبلاد الشام تحت حكومة مدنية لا دينية، فلم يكن فيها المسيحيون أهل ذمة ⁽³⁸⁾، لكن ومع

³⁴. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -

لبنان-2001 ص199.

¹. هنري تشرشل، المرجع السابق، ص281-282.

³⁶. نفسه، ص 282.

³⁷. نفسه، ص 282.

ذلك فكان الرسول قد ترك رسالته التي مثلت دستوراً محكماً تجاه أهل الكتاب أن يعيشوا بينهم مرحومين ويمنع عنهم ما يكدرهم أو يضيق عليهم من كل راع أينما كانوا أو في أي محل نزلوا وأن تحترم كنائسهم فلا يمنعون من تعميرها ولا من حرمة أديرتهم، ولا يلتزمون لنقل سلاح أو حمل حجارة وإنما المسلمون يذبّون عنهم ولا أحد من الأمة يخالف هذا العهد إلى يوم القيامة وانقضاء الدنيا⁽³⁹⁾.

ولما رأى الأمير معاول الفتنة قد بدأت في الهدم من قبل الفرق الدرزية وبتقدم نحو دمشق راسل شيوخهم البارزين في جبل لبنان وفي سهول وجبال حوران مبتدئاً إياها بالدعاء لهم بالسعادة الدائمة والهناء المستمر، وفي هذا إفصاح عن حسن نية وأنه إن دعاهم لتغليب الحكمة والعقل فليس لضعف منهم أو لأنه يكن لهم ضغينة وإنما من باب درء الفتنة، والعفة عند القوة كما ينص على ذلك الدين الاسلامي والمسيحي معا.

لقد ذكر الأمير من خلال الرسالة بأن الأخوة بين المسلمين والمسيحيين هي التي كانت سائدة بينهم قبل بداية الفتنة وكان يجمعهم في ذلك حب الوحدة في الأرض واللغة (الاحساس القومي) وأن تصرفاً كهذا قد يؤدي إلى قطيعة بينهم وبين المسلمين من جهة ومع الحكومة من جهة أخرى، ومن ثمة فقد دعاهم إلى الحكمة وأشار إلى معنى الحكيم الذي يقرأ العواقب للأشياء قبل مباشرتها.

لقد كان الأمير متشعباً بالقيم الصوفية الداعية للتسامح والعفة واحترام الآخرين، فقد امتاز أهل التصوف بكل الشمائل والسلوكات التي تؤدي إلى التآلف ونبد الخلاف والشقاق، وكان لشيخ الطريقة تأثير إيجابي ودور فعال في

³⁸. الذمة في اللغة هي العهد والأمان والضمان، وأهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الاسلام من غير المسلمين وسموا بهذا لأنهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وأصبحوا في ذمة المؤمنين. انظر الخربوطلي، المرجع السابق، ص 65.

³⁹. علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص 39.

فض النزاعات وإقامة السلام وتحقيق الأمن والقضاء على التشاحن والتباغض وحل المشاكل على اختلافها، سواء كانت دينية أو دنيوية، وكل هذه الأمور تكون مقومات الأثر الفعال للتصوف والطريقة الصوفية على المجتمع في دفع عجلة الحياة إلى الحركة والتسامي والتقدم، لذلك قد يكون ضرورة لا بديل لها في مكافحة الجريمة ومقاومة الانحراف وإيقاظ الضمير وتحقيق الضبط الاجتماعي وتدعيم القيم وترسيخها.

لقد بذل الأمير المستحيل لمنع هذه المجازر بمحاولاته المتكررة مع المسؤولين السياسيين والدينيين للتدخل أو حتى إصدار فتوى تحرم هذا القتل لكن كل محاولاته باءت بالفشل، ورغم ذلك لم يمنعه هذا من القيام بواجبه الإنساني حيث عمل ليل نهار مع رجاله الأشداء على إنقاذ ما أمكن من المسيحيين والذين قدر عدد الذين أنقذهم هو ورجاله حوالي 11,000 شخص حسب تقديرات القنصل الفرنسي.

كما أجرى الأمير عدة اتصالات مع الوالي التركي أحمد باشا لاحتواء الفتنة قبل اتساعها، لكن هذا الأخير أصمّ أذنيه لتلك النداءات غير مقدر للعواقب وبما كان يجري في الأحياء بين الجماعات من أحاديث تتم عن العداء للنصارى الذين اضطهدوا في جبل لبنان⁽⁴⁰⁾، وبين للأمير بأن ما يصل أسماعه مجرد إشاعات لا أساس لها من الصحة، وكرر الأمير المحاولة ثانية وثالثة لكن دون جدوى واكتفى بتوزيع الأسلحة على أتباع الأمير دون منحهم رخصة لاستعمالها في أي ظرف من الظروف⁽⁴¹⁾.

لم يترك الأمير بابا إلا ولجه، فاجتمع بوجهاء وأعيان دمشق مخاطبا إياهم أن الأديان وفي مقدمتها الدين الاسلامي أجلّ وأقدس من أن يكون خنجر جهالة، أو معول طيش أو صرخات ندالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم قائلًا

⁴⁰. عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 57-58.

⁴¹. هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 283.

((.....أحذركم أن تجعلوا لشیطان الجهل فيكم نصيباً أو أن يكون على نفوسكم سبيل))⁽⁴²⁾ نعم لقد اصطف الأمير ورجاله الذين قدموا إليه وأنفاسهم نتقطع لما رأوا المدينة تتجه نحو الفوضى، فتلا ذلك هدوء ظرفي استغله فخاطب فيهم العقل وعاتبهم على ما هم مقدمون عليه وبين لهم بشاعته وترجّاهم بالعدول عنه .
كان الرد على خطابه مخيباً للآمال إذ رد عليه المتظاهرون بقولهم: ماذا؟ أنت الذي كنت أعظم ذبّاح للمسيحيين تأتي لتمنعنا من ذبحهم هنا في مدينتنا؟ ابتعد عنا.

ردّ الأمير مجيباً لهم: ((إذا كنت قد ذبحت المسيحيين فإن ذلك كان طبقاً لتعاليم شريعتنا وهم المسيحيون الذين أعلنوا علي الحرب والذين كانوا مدجّنين بالسلاح ضد ديننا ..))⁽⁴³⁾

هنا إشارة صريحة من الأمير إلى أن الدين الاسلامي لا يقوم على التعدي على الغير سواء من أبناء الملة الواحدة أو الملل الأخرى إلا في حالة تعد من الطرف الآخر أي في حالة الدفاع عن النفس، فقد قاتل الأمير الفرنسيين لا باعتبارهم مسيحيين وإنما باعتبارهم غزاة لأرضه وأرض شعبه بأكمله محاولين التعدي عليه وعلى مقدساته ومقومات شخصيته من لغة ودين وتاريخ وأرض، وهذا ما يتجلى في مخاطبته لأهل جرجرة في محاولته جرهم إلى صفه لمواجهة الاستعمار بقوله: ((وإذا لم تساعدوني فإنهم سيسترقونكم ويدوسون حرماكم، فاشكروا الله إذن على أنني عدوهم الألد، استيقظوا يا أهل جرجرة، وانتبهوا من غفلتكم، وثقوا أن ليس في قلبي سوى الرغبة في سعادة وصلاح ورفاهية جميع المسلمين))⁽⁴⁴⁾، وكذا في رسالته الموجهة الى الملك الفرنسي لويس فيليب بأن التعدي على المسلمين من قبل المسيحيين بما في ذلك الهجوم الفرنسي على الجزائر الذي لم يعد كما كان في إطار

⁴². محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 91.

⁴³. هنري .تشرشل ،المرجع السابق، ص 283.

⁴⁴. هنري تشرشل ،المرجع السابق، ص 151.

الواجب المقدس الذي بدأ منذ ظهور الاسلام بل جاء نتيجة لحيادهم ونسيانهم لدينهم ومبادئه فأصبحوا ينظرون إليها كمجرد وسيلة للتوسع الدنيوي⁽⁴⁵⁾.

لقد أباح الاسلام هذا في مثل هذا الوضع، لكن لم يشرعه في غير هكذا وضع، فقد فتح الرسول صلعم بمعاهدته مع اليهود فتحاً جديداً في السياسة الدينية، فأقرت حرية العقيدة وحرية الرأي وحرمة الوطن وحرمة الحياة وحرمة النفس وحرمة المال، ولم يحدث كل هذا قبلها فيما بين أهل الأديان بل كان هناك الاضطهاد والظلم والتفرقة في الحقوق والتفاوت بين الأفراد والطبقات⁽⁴⁶⁾.

كان الأمير يؤمن بوجوب التعايش بين الملل وحرية العقيدة وهذا ما نستشفه في كثير من أقواله وأفعاله وخاصة خلال تواجده بفرنسا بعد وضعه لسلح المقاومة ومن ذلك زيارة عدد من الضباط الذين كانوا سابقاً أسرى عنده وقد جاؤوا يشكرونه على اللطف والاهتمام اللذين وجدوهما منه خلال أسرهم⁽⁴⁷⁾، وحين زيارته للبنيات العامة في باريس وعند دخوله لكنيسة المادلين قال للقسيس الذي كان مرافقاً له: ((حينما بدأت مقاومتي كنت أظن أنهم شعب لا دين له ولكن تبينت غلطتي وعلى أي حال فإن مثل هذه الكأس ستقنعني بخطي))، وبعد ذلك طلب أن يؤخذ الى محل إقامة صديقه القديم دوبوش أسقف مدينة الجزائر قائلاً ((بعد أن خصصت زيارتي الاولى لله يجب علي أن أخصص زيارتي التالية لأفضل عباده)).

رغم ما حذر منه الأمير إلا أنّ الكارثة وقعت لوجود أطراف كانت تعمل على إذكاء نار الفتنة ومنهم الباشا الذي ادعى بأنه سيحمي المسيحيين بوضع فرقة من الجنود الأتراك في حيهم، لكنه أعطاهم الأوامر بالانسحاب فتخلّوا عن أسلحتهم

⁴⁵. نفسه، ص 172.

⁴⁶. علي حسن الخربوطي، المرجع السابق، ص 52.

⁴⁷. هنري شرشل، المرجع السابق، ص 269.

وباشروا النهب⁽⁴⁸⁾، فعلق الأمير على ذلك قائلا ((هذا ما كنا نحاذره ونحذر الناس منه قد وقع، إنا لله وإنا إليه راجعون)).

وخلال ثلاث ساعات كان الحى المسيحى عبارة عن ورقة تشتعل فى مهب الريح، ومع ذلك فقد هبّ الأمير يجمع ما يلقاه من أهل بلاد المغرب ويرسلهم إلى الأحياء المسيحية لرد المهاجمين ودعوتهم للتعقل والتريث، ولما رأى بأن كلماته لم تلق الأذان الصاغية انتقل إلى حل أجدى وهو أن فتح بيته للفارين من النصارى وأمر جيرانه بإخلاء منازلهم لتكون مأوى لهؤلاء الفارين المنكوبين⁽⁴⁹⁾، نعم لقد التف حوله حوالي الألف من الجزائريين يحرسون الشوارع الملتبسة ويذهبون من منزل إلى آخر وهم ينادون ((أيها المسيحيون، تعالوا لا تخشوا منا إننا رجال عبد القادر، وإننا هنا لإنقاذكم، تعالوا تعالوا))⁽⁵⁰⁾، وطيلة أيام المحنة الأربعة عشر انشغل الأمير بأخذ ما توفر لديه من الوسائل والسبل لإخمادها وقاسم أصحاب المحنة همومهم، إذ لم يدخل بيته طيلة أيامها وهو جالس فى دهليزه لا يهجع من الليل إلا قليلا.

وبانجلاء ظلمة المحنة كان الأمير ومن معه قد ساعد فى إنقاذ خمسة عشر ألفا من أتباع الكنيسة الشرقية من الموت بل مما هو أسوأ من الموت وهنا لم يكن أمام الجميع مسلمين ونصارى إلا أن يقفوا له مقتنعين إجلالا وإكبارا لجهوده ومسايعه ونبل أخلاقه وعلو نفسه لأنه بقدر ما كانت النتائج رائعة كانت التضحيات عظيمة بما دفعه الجزائريون من رفقاء الأمير وصلت لحد بذل الأرواح فداء للنصارى. لقد أضاف الأمير وساما آخر على صدره بهذا العمل الجليل وخاصة حينما وقى حفيد النبي قريبه أوروبا المسيح⁽⁵¹⁾، إن ذلك العمل لم يكن عبثيا أو نابعا بشكل

⁴⁸. هنري شرشل، المرجع السابق، ص 283.

⁴⁹. عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 58.

⁵⁰. تشرشل، المرجع السابق، ص 283.

⁵¹. عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 59.

آني وفقا لحادثة أو لفتنة أراد أن يضع لها حلا مؤقتا وينال شرف الدنيا من وراء عمله ذاك وإنما نتيجة لتربية دينية وإيمان وأخلاق رفيعة اكتسبها بمرور السنين وتجربة صقلتها سعة اطلاعه وتعمقه في دراسة التاريخ والنفس البشرية ويتجلى حرصه على سلامة الروح البشرية بغض النظر عن انتمائها العرقي والديني من خلال إحدى رسائل الشكر والامتنان التي وردت عليه ((والذي بلغكم عنا ورضيتم به منا من حماية أهل الذمة والعهد والذب عن أنفسهم وأعراضهم بقدر الطاقة والجهد هو- كما في كريم عملكم - مقتضى أوامر الشريعة السنية والمروءة الإنسانية فان شريعتنا متممة لمكارم الأخلاق فهي مشتملة على جميع المحامد الموجبة لاتلاف اشتغال الأتواق على الأعناق والبغي في كل الملل مذموم ومرتعة وخيم مرتكبة ولكن :

يقضي على المرء في أيام محنته ***** حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن⁽⁵²⁾
نعم لقد كان الأمير متشعبا بما في سيرة الرسول الكريم من معاني النبل والكرم والتسامح والتجاوز عن أخطاء الآخرين، فقد كان كريما حتى في معاملة اليهود إلى أبعد حدود الكرم فكان يصابرهم ويصبر عليهم ويغض الطرف عن كذبهم ويحترم دينهم ويساوي بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات وكان لا يعاتبهم إلا بما يكف أيديهم عنه وكان يحكم فيهم من يختارونه بأنفسهم⁽⁵³⁾.

وحسب الأمير عبد القادر فإن البغي مذموم لدي كل الأديان وأن من سمح لنفسه بارتكابه كمن وضع غذاء مسموما في بطنه، وكان يري بأن ما يجري في بلاد الشام هو نتيجة لقلّة أهل الدين الحق وندرة حماة وأبطال الحقيقة، وكثرة الجاهلين الذين يعتقدون أن مبدأ الاسلام هو الظلم والقسوة والبلادة والجفاء فقد حان الوقت أن نقول صبرا جميلا ولا حول ولا قوة إلا بالله على حد تعبيره في مراسلته

⁵². نفسه، ص 59.

⁵³. عبد الرزاق بن السبع ، المرجع السابق ، ص 52.

لأخيه وصديقه في الله الامام محمد شمويل القوقازي الداغستاني الذي كان هو الآخر في المنفى بروسيا⁽⁵⁴⁾.

لقد استغرب الامير عبد القادر عمى المسئولين الذين انساقوا وراء هياجهم الديني والعاطفي في مهاجمة المسيحيين وتناسوا كلمات الرسول صلعم ((ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)).

كيف لا وقد كان الأمير قاضيا في كل منطقة أو مكان معين يحلّ به وكان باب خيمته مزدحما كمدخل بلاط الملوك، وهناك كان يستمع إلى الشكاوي ويحكم في المظالم فلا ينقض له حكم، ألم يكن على دراية بما يقوم به تجاه طائفة دينية معزولة وسط جمع من المسلمين وداخل حكومة إسلامية اشتهرت سلاح القتل في وجههم؟ وهذا ما كان سيسيء للإسلام أولا وللمسلمين بشكل عام، وهذا ما نلنسه من ردود الفعل المحلية والأجنبية على أن سلوكه هذا الذي قام به وسط المظاهر الفظيعة التي جرت أثناء جور التعصب التركي لم يثر الإعجاب والثناء والفرحة في العالم المسيحي فقط بل في العالم الاسلامي الذي ظهر به شعور من الاستغراب والاستنكار ضد العمل الانتقامي والحماقة العمياء والحدق الدموي المعادي للمسيحيين من دولة اسلامية كانت تزعم بأنها تتبع أرقى مبادئ الحضارة الأوروبية حسب هنري شرشل⁽⁵⁵⁾ الخاتمة: كان الأمير عبد القادر يدرك تماما أن الاختلاف أصيل في الكون وأن الاختلاف والخلاف يوجد حتى داخل الديانة والثقافة الواحدة، ومن ثمة كان يري بوجود تعددية دينية في دولة مدنية يظهر معها تعايش متسامح وعملي وهو أمر ممكن، خاصة وأن الامر لا ينم عن تصادم في القيم والمبادئ الدينية بقدر ماهو ثار تكوّن عبر مرور الزمن وغدّته أطراف خارجية وداخلية، ومهما كانت النتيجة في حالة التصادم بانتصار فرقة أو طائفة على

⁵⁴. انظر محمد بن عبد القادر، المرجع السابق، ص 115-116.

⁵⁵. هنري شرشل، المرجع السابق، ص 288.

أخرى فلن تكون سوى حلقة من سلسلة طويلة من الصدمات الدموية التي لن تعود بالنفع على المنطقة بل تكون وبالا عليها وعلى جميع الأصعدة خاصة في تلك الظروف التي كانت تعيشها وليس أصدق تعبيراً عن ذلك ما قاله فيه بطل القوقاز الشهير بأنه أصبح رجلاً متميزاً عن جميع الرجال بميزاته العديدة والذي أطفأ نار الفتنة قبل أن تمد ألسنتها والذي اجتث شجرة العداوة التي لم تكن ثمرتها في الواقع سوى رأس الشيطان .

قائمة المصادر والمراجع

- محمد بن عبد القادر، كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1 و2، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الاسكندرية 1903.
- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر. تونس 1974.
- محمد بركات مراد، الأمير عبد القادر الجزائري -المجاهد الصوفي- دار النشر الالكتروني .
- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، باتنة سنة 2000.
- لويس غارديه-جورج قناتي، فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1967.
- ابراهيم محمود، الفتنة المقدسة-عقلية التخاصم في الدولة العربية الإسلامية -ط1- بيروت- لبنان، جانفي 1999 .
- دييترسنغاس، الصدام داخل الحضارات-التفاهم بشأن الصراعات الثقافية-ترجمة شوقي جلال، ط1، دار العين للنشر، الامارات العربية 2008.

- عبد العاطي محمد الورفلي، أوراق أندلسية، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي- ليبيا-1990.

علي حسن الخربوطي، الاسلام وأهل الذمة-مجموعة التعريف بالإسلام الصادرة عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة، عدد49، سنة 1969م.